إدوارد سعيد و علم الاستغراب[١]

" لا بد لنا ان نرى أوروبا من الخارج، ان نرى تاريخ أوروبا نقائض أوروبا و نجاحاتها، من خلال أعين ذلك الجزء الواسع من البشرية الذي يتكون من شعوب آسيا وأفريقيا " جوزيف نيدهام

أ.د. بهجة كامل عبد اللطيف

كلية الآداب/جامعة بغداد

يعد المسار الثقافي المتنوع للمفكر والكاتب إدوارد سعيد هي السمة المميزة التي طبعت نتاجه الواسع على مدار سنوات عديدة[٢]. وتأتى أهمية كتابات المفكر إدوارد سعيد في تأثره وتناوله لمناهج نقدية مستمدة من النظريات الثقافية الأوروبية المعاصرة وادخالها إلى عالم الاكاديميا الانجلو-أمريكي في السبعينات. فقد استطاع كتابة الاستشراق ان يطرح أنموذجا يعد الأول من نوعه في تطبيقه المعزز لهذه الأساليب التحليلية على التقاليد النصية والتاريخ الثقافي الانجلوفوني. ففي المقدمة يعاين القارئ الشرق كما عرفه المؤلف في فهم الغربيين:" اختراع غربي... ومكان للتجارب الاستثنائية"بالإضافة إلى انه "جزء تكاملي من حضارة أوروبا وثقافتها الماديتين"[٣] . وبقدر كاف من الموضوعية والمعرفية استطاع كتاب "الاستشراق" ان يطوع بعض عناصر هذه النظرية الجديدة لدراسة الروابط بين الثقافة الغربية والإمبريالية وبشكل أساسي من اجل ان يبرهن بان كل الأنظمة الثقافية الغربية مرتبطة ارتباطا وثيقا بسياسات ومنظورات واستراتيجيات القوة. وهذا ما تبرهنه الأحداث الجارية على الساحة الأفغانية والأقوال والتصريحات التي يطلقها زعماء الغرب ضد الإسلام

والمسلمين. والسكوت على ما يجري من انتهاك صارخ لابسط قواعد حقوق الإنسان على ارض فلسطين وأفغانستان والشيشان. وما يتعرض له الشعب العراقي المؤمن بدينه وعقيدته من حصار ظالم وعدوان اثم مضى عليه اكثر من عقد من الزمن(٤).

ويعد سعيد من أوائل من حاول الإشارة إلى الروابط الكامنة في قضايا العنصرية، والإمبراطورية والعرقية في ذات النظرية الثقافية الاوروبية مشيرا بهذا إلى اشتراكها وتواطئها في أساليب فكرية ثقافية نوعية تذهب أحيانا إلى المركزية العرقية (٥). ومن بين أهم الأمور التي أتى بها الكتاب هو الإصرار على مساءلة المنتج السياسي والمادي للمؤسسات الأكاديمية والعلمية والثقافية الغربية والنظر بجدية إلى نوعية العلاقة القائمة بين هذه المؤسسات والعالم الخارجي غير الأوروبي(٦).

فإدوارد سعيد يرفض الفهم الليبرالي التقليدي للإنسانيات كمفهوم نشأ حول السعي وراء ما يسمى بالمعرفة "المجردة" وعلى العكس فهو يرى ان هذه الممارسات متورطة بشكل كبير في عمليات وتكنولوجيا القوة، لحقيقة بسيطة وهي ان كل الباحثين والمفكرين ينتمون او ينتسبون إلى مؤسسات تاريخية وثقافية معينة هي بدورها محكومة في النهاية بايديولوجيا مهيمنة وتبعات سياسية يفرضها واقع المجتمع الذي يتحركون من خلاله(٧). وعلى هذا الأساس يرى المؤلف ان الاسلام وأقاليمه يشكلون محور الاستشراق الأوربي حتى القرن الثامن عشر، ولكن المستشرقين الذين جاءوا بعد ذلك التاريخ، وفلوبير (١٨٢١-١٨٨٠) بالتخصيص جعلوا البنى الاستشراقية فرعا من فروع المعرفة التي تنتمي بدورها إلى المعتقدات العلمانية وشبه الدينية (٨). كما مهدوا أمام الاستشراق الحديث الذي ارتكز على أربعة عناصر(التوسع، المجابهة التاريخية بين الحضارات، التعاطف، وذلك بان يضطر الغرب تحت وطأة مصالحة، ان يقلل من هذا الصراع الديني، وان يتظاهر بالتعاطف مع مطالب الشعوب الشرقية ذات

النزعة الإنسانية[٩]. ثم هناك التصنيف وهو نزوع إلى تصنيف الطبيعة والإنسان بحسب العرق والجنس والاصل واللون والمزاج والشخصية. ويقف د. عزيز العظمة هذا الموقف ويقول " ان الاستشراق نمط تصور وإدراك وليس ضربا من المعرفة فهو يحدد الموضوعات ذات الطبيعة الإسلامية[١٠] .. ويرى د.العظمة "ان الحاضر الحسي للمستشرقين وهو وحده الموضوعي، وأية محاولة للربط بين هذا الخاص وسياق خصوصيته هي اعتباطية لا محالة تبعا لهذا التصور"[١١]. ويمثل هذا الاتجاه بأسمى صوره ومعانيه المستشرق برنارد لويس من خلال سجاله مع إدوارد سعيد الذي لم يتردد باللجوء إلى كافة الأساليب والمناهج في مهاجمة الخصم وعدم التردد في اعتماد الكذب كأحد دعامات المنطق الدعائي الهجومي في مواجهة هذا الخصم[١٢].

ومهما ألصقت بإدوارد سعيد من سمات رديئة واتهامات باطلة كالخروج عن الموضوعية والمنهجية والعلمية والتقصي العميق من قبل باحثين يدعون الموضوعية والعلمية[١٣]. فان سعيد ومن خلال مؤلفاته وخاصة كتاب الاستشراق وكتاب الثقافة الإمبريالية امتلك قدرا من التأثير في حقل العلوم الإنسانية في امريكا واوروبا خلال العقود الأخيرة اكثر مما يملكه أي اكاديمي أخر. وحتى نقاد سعيد انفسهم يعترفون بانه ابرز اكاديمي عربي يعيش في الغرب[١٤]. وان حضوره بارزا بين الأكاديميين والمثقفين الأمريكان والأوروبيين الذين يثنون بإفاضة على دراساته الأدبية ويبدون الإعجاب بموقفه السياسي غير المجامل[١٥].فمن بين دراساته اثر كتابه الأشهر"الاستشراق" بأطروحته الجريئة التي تقول ان الدراسة الغربية للإسلام (وللثقافات الأخرى كذلك) هي شكل من أشكال "الاستعمار" تأثيرا جذريا عميقا على الدراسات الأدبية في الكليات والجامعات كما غيّر من طرق تفكير المسلمين بالإسلام كذلك[١٦].

يختتم ادوارد سعيد كتابه "الاستشراق" بالإفصاح عما يجب ان نعمله كعرب في مواجهة الاستشراق ويقول:" وإذا كان لهذا الكتاب من فائدة في

المستقبل، فسيكون ذلك بوصفه إسهاما متواضعا في (طرح) هذا التحدي، بوصفه تحذيراً من ان أنظمة فكرية كالاستشراق، وإنشاءات القوة، والاختراقات العقائدية. وكلها أصفاد من سبك العقل وصياغته-يمكن ان تصنع وتطبق وتحرس بسهولة مفرطة. وفوق كل شيء، فأنني لآمل ان أكون قد أظهرت لقارئي ان الجواب على الاستشراق ليس الاستغراب...)[١٧] فما الاستغراب؟

الاستغراب بمعناه العام والواضح يعني دراسة الغرب ، طبيعة، ولغات، وتاريخ، وديانات، وارث حضاري" وتوظيف هذه التخصصات من اجل وضع الغرب في مكانه الطبيعي بين الأمم والحضارات الإنسانية. وقد ذهب البعض إلى عده علم من العلوم "يهدف إلى إعادة الشعور اللااوربي إلى وضعه الطبيعي، والقضاء على اغترابه، واعادة ربطه بجذوره القديمة واعادة توجيهه إلى واقعه الخاص من اجل التحليل المباشر له، واخذ موقف بالنسبة للحضارة التي يظنها الجميع مصدر كل علم وهي في الحقيقة حضارة غازية لحضارة أخرى ناشئة نشأة ثانية او تعيش عصر أحيائها ونهضتها"[١٨]. أما كلمة "المستغرب" فتطلق على الشخص الذي تبحر من اهل الشرق في إحدى لغات الغرب وآدابها وحضارتها.

ومن الأمور الأساسية التي يسعى الاستغراب إلى تحقيقها هي إعادة التوازن للثقافة الإنسانية بدل هذه الكفة الراجحة للوعي الأوروبي والكفة المرجوحة للوعي اللااوروبي ، فطالما ان الكفتين غير متعادلتين سيظل الوعي الأوروبي هو الذي يمد الثقافة الإنسانية بنتاجه الفكري والعلمي وكأنه هو النمط الوحيد للإنتاج. وبالتالي يستمر هذا الظلم التاريخي الواقع على الثقافات غير المتميزة في سبيل الثقافة المتميزة[١٩]. ومما يهدف اليه أيضا تصحيح المفاهيم المستقرة والتي تكشف عن المركزية الاوروبية من اجل إعادة كتابة تاريخ العالم من منظور أكثر موضوعية حياداً وأكثر عدلاً بالنسبة لمدى مساهمة كل الحضارات البشرية في تاريخ العلم [٢٠]. ويهدف أخيرا وليس أخرا إلى وضع

نهاية لأسطورة كون الغرب ممثلا للإنسانية جمعاء وأوروبا والولايات المتحدة الأمريكية مركز الثقل فيه[٢١].ويحاول ان ينقل الخطابة السياسية التي تعود عليها جيلنا إلى مستوى الخطاب العلمي الرصين، وصياغتها صياغة دقيقة. مع الاعتراف كلية الاستغراب ليس فقط كلاما نظريا عاطفيا بل هو ممارسة عملية لجدل الأنا (الغرب) والاخر (العرب بجميع قومياته ومذاهبه ومشاربه) تحررا للأخر ثقافيا وحضاريا وسياسيا وعلميا من هيمنة الأنا.

وبناءا على ما تقدم فان الاستغراب او كما يطلق عليه البعض علم الاستغراب (Occidentalism) قد نشأ في مقابل الاستشراق (Orientalism) ومواجهة حركة التغريب Westernization الذي يعني شكل من الاغتراب Alienation الذي امتد أثره ليس في الحياة الثقافية وتصوراتنا للعالم وهدد استقلالنا الحضاري بل امتد إلى أساليب الحياة اليومية ومظاهر الحياة العامة، وصاحب الانفتاح الاقتصادي على الرأسمالية العالمية الانفتاح اللغوي على الألفاظ الأجنبية[٢٢]. ومن منظور اكثر موضوعية حيادا واكثر عدلا بالنسبة لمدى مساهمة كل الحضارات البشرية في تاريخ العالم.ونتيجة ذلك ضاعت الفصحى وازدوجت مع العامية وأصبحنا نعرف بلهجاتنا العامية وليس بلغتنا الفصحى إلا في القران الكريم، وهروبا من الإعراب نسكن أخر الكلمات، وهو اضعف الأيمان.

أما مدننا فقد تحولت إلى خليط من أساليب العمارة لا هوية لها فلا هي تقليدية حافظت على الطابع القديم ولا هي حديثة لها طابع الحداثة، ولا هي عملية ناتجة عن مقتضيات البيئة. كما غاب الزي الوطني، ولم يعد لدينا زي وطني نلبسه في الأعياد الدينية والمناسبات الوطنية والقومية[٢٣]. والشيء المؤسف حقا ظاهرة الهجرة إلى الغرب والتي تشكل أحد البواعث الدفينة لدى جموع الناس، فاختفى الارتباط بالأرض الذي كان السمة الغالبة في الشخصية الوطنية. وذهبت أقوال الشعراء التي تتغنى بالأوطان وأمجادها أدراج الرياح وحل مكانها تدافع الناس أمام أبواب السفارات طلبا للهجرة، وكان من نتائجها المباشرة ان

ضاع احترام المواطنين ومسخت شخصيتهم. ومن المظاهر المؤسفة حقا ان اصبح الاقتصاد الوطني مستهلك اكثر من هو منتج وتابع اكثر مما هو مستقل الإرادة لان هم التاجر الأساس الاستيراد وكذا المستهلك.

كما تحولت مساحة كبيرة من ثقافتنا المعاصرة إلى وكالات حضارية للغير وامتداد لمذاهب غربية (اشتراكية، ماركسية، ليبرالية، قومية وجودية وضعية بنيوية..) الخ. حتى لم يعد أحد قادرا على ان يكون مفكرا او عالما او فنانا ان لم يكن له مذهب ينتسب إليه[٢٤].ومما زاد الامر سوءا اننا(كأمة) تفرقنا شيعا وأحزابا كما تفرق القدماء من ذواتهم،غير ان فرقتنا هذه المرة لم تكن موقفا من الذات بل تبعية للأخر. اذن كيف الخروج من حالة الاستلاب الثقافي والحضاري والاجتماعي والاقتصادي الذي تواجهه امتنا العربية والإسلامية؟ ليس من العسير ايجاد الجواب، اذا امنا بان امتنا هي الامة الوسط التي اختارها الله سبحانه وتعالى (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) (البقرة:١٤٣) وأنها صاحبة رسالة سماوية تبلغها إلى الإنسانية جمعاء وفيها من الإمكانات الروحية والمادية التي تمكننا من الوقوف بوجه التحديات الخارجية والداخلية. اذا علينا أن نرجع إلى عقيدتنا إلى تراثنا وسنجد الكثير من الوسائل والأساليب التي تعيننا على الصمود بوجه الاخر واحتوائه وتحويله من دارس إلى مدروس ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

أ. القران الكريم : دستور المسلمين ومنهجهم في الحياة وفيه من الآيات التي تحرم موالاة الغير والتقرب إلى الأعداء، والتودد إليهم ومصالحتهم. فغاية الأعداء القضاء على هويتنا والقضاء عليها حتى لا يوجد ألا الغرب وسيادته[٢٥]. ومن ذلك قوله تعالى(يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض، ومن يتولهم منكم فانه منهم) (المائدة:٥١) وقوله عز وجل (ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم) (البقرة: ١٢٠) و (يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا

الكتاب يردونكم بعد إيمانكم كافرين) (ال عمران:١٠٠) واشد تعبير وأوضحه عن التضاد قوله تعالى في سورة الكافرين (قل يا ايها الكافرون لا اعبد ما تعبدون ولا انتم عابدون ما اعبد ولا انا عابد ما عبدتم لكم دينكم ولي ديني).

وفي القران رفض للتقليد والتبعية في السلوك الفردي وفي العقائد من أي فرد كان، واثبات المسؤولية الفردية، فأيمان المقلد لا يجوز، والاعتذار بالتقليد غير مقبول يوم الحساب. كقوله تعالى (أنا وجدنا إباءنا على أمة وأنا على آثارهم مهتدون) (الرعد:٢٣) وكذلك قوله (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتي لم اتخذ فلانا خليلا. لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا.) (الفرقان:٢٧-٢٨) وعن الرسول محمد صلى الله عليهم وسلم انه قال : (لتتبعن سنن من كان قبلكم، باعا بباع، وذراعا بذراع، وشبرا بشبر حتى لو دخلوا حجر ضب دخلتموه، قلنا يا رسول الله، اليهود والنصارى ؟ قال : فمن) [٢٦]

ب. والفكر الإسلامي القديم يعد نموذجا مثاليا في التعامل مع الحضارات الأخرى فاستطاع تمثل تلك الحضارات السابقة دون ان يفقد هويته وقام بنقدها مطورا لها ومكملا لإنجازاتها. فظل إسلاميا معاصرا، ذاتيا قادرا على التعامل مع الغير (الأخر) وممثلا للحضارات الإنسانية كلها[٢٧].

ج. بالرغم من انبهار الفكر الإسلامي الحديث بالغرب وآخذه كنموذج للتحديث من حيث الصناعة والتعليم والنظم البرلمانية والدستورية والعمران ألا انه استطاع ان يكون ناقدا للغرب في إباحيته ودهريته وماديته ودنيويته ولم يفقد خصوصيته وهو في اوج التعامل معه بالرغم من الاستقلال او الاستقلال المنقوص[٢٨].

د. الاعتماد على موقف الحركة الإسلامية ألان من الغرب، في هذا التمايز بين الانا (الغرب) والأخر(الشرق) بين الأيمان والكفر، بين الإسلام والجاهلية، بين

الله والطاغوت. وتحويل علاقة العداوة والبغضاء بينها إلى علاقة عالم بمعلوم ذات بموضوع، دارس بمدروس، راء بمرئي، ملاحظ [٢٩].

هـ. وكذلك الاعتماد على الموقف القديم لعلماء المسلمين الذي انعكف على التراث معاديا للأخر، نظرا لظروف العدوان الخارجي على الأمة من الغرب(الصليبيون، حركة الاستكشافات الجغرافية) او الشرق المغول والتتر، فالظروف متشابهة الان بين الغزو الاستعماري الحديث والغزو الاستعماري القديم[٣٠].

الاستغراب والاستشراق :

الاستغراب كما قيل هو الوجه الأخر والمقابل بل والنقيض من الاستشراق فان كان الاستشراق هو رؤية الانا (الشرق) من خلال الأخر (الغرب يهدف علم الاستغراب الذي لا زال في بواكير تكوينه إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الانا والآخر والجدل بين مركب النقص عند الانا ومركب العظمة عند الأخر. بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس والقضاء على مركب النقص لدى الانا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس. يسعى بشكل حثيث للقضاء على الإحساس بالنقص إمام الغرب، لغة، وثقافة، وعلما مذاهب ونظريات مما يخلق فيهم إحساسا بالدونية[٣١].

فإذا كان الاستشراق وفرعه الاستعراب[٣٢] يقصد به دراسة الحضارة العربية الإسلامية من باحثين ينتمون إلى حضارات أخرى ولهم بناء شعوري مخالف لبناء الحضارة التي يدروسنها فان الاستغراب هو العلم المقابل بل والمضاد له. ويكون الجبهة الثانية (موقفنا من التراث الغربي) هو التعبير عن وعينا بهذا العلم ومادته الأساسية، وبالتالي يضيع الخطر الماثل من اعتبار الحضارة الأوروبية مصدرا كل علم، وما سواها من حضارات تعيش عليها،

وتنتظر منها المذاهب والنظريات[٣٣]. لقد خلق هذا الموقف انحراف معظم الحضارات الأوروبية وانحسارها عن واقعها، وبترها من جذورها والارتباط بالحضارة اللاأوروبية والدخول في فلكها باعتبارها أنها الحصيلة النهائية للتجربة البشرية [٣٤].

وإذا كان الاستشراق قد وقع في التحيز المقصود أي درجة سوء النية الإرادية والأهداف غير المعلنة [٣٥]، فان الاستغراب يعبر عن قدرة الانا باعتبارها شعورا محايدا عن رؤية الأخر ودراسته، وتحويله إلى موضوع. وهو الذي طالما كان ذاتا يحول كل أخر إلى موضوع. ولكن الفرق هذه المرة هو ان الاستغراب يقوم على أنا محايد لا يبغي السيطرة، وان بغى التحرر والاستقلال وإظهار الحقائق بشكل موضوعي معرفي لانه لا يهدف تشويه ثقافات الأخر، وان أراد معرفة تكوينها وبنيتها. وان الاستغراب، اكثر نزاهة وموضوعية وحيادا من الاستشراق[٣٦].

وعلم الاستغراب في مقابل الاستشراق ضرورة ملحة في عصر يشهد تميزا واضحا ونظرة عنصرية استعلائية متغطرسة نشهدها في واقعنا المعاصر (العراق، فلسطين، أفغانستان، يوغوسلافيا، الشيشان، امريكا اللاتينية ... ومما يهدف إليه علم الاستغراب فضلا عما ذكرنا في بداية حديثنا إلى إقالة الثورات الحديثة عن عثراتها، واستكمال عصر التحرر من الاستعمار والانتقال من التحرر العسكري إلى التحرر الاقتصادي والسياسي والثقافي، وقبل كل شيء التحرر الحضاري. فطالما ان الغرب قابع في قلوب الأغلبية من ابناء هذه الأمة كمصدر للمعرفة وكإطار مرجعي يحال أليه كل شيء للفهم والتقييم فسنظل قاصرين في حاجة إلى أوصياء.

وفي حالة تأسيس علم الاستغراب وتناوله فريق من الباحثين على عدة أجيال، واصبح تيارا عاما في البلاد، ساهم في خلق وترصين الثقافة الوطنية

يمكن أن تجني ثماره من خلال :

أ. احتواء الوعي بداية ونهاية، نشاة وتكوينا وبالتالي يقل إرهابه لانه ليس بالوعي الذي لا يقهر. (ما جرى في العالم الغربي بعد ١١/أيلول ٢٠٠١م)

ب. دراسة الوعي الأوروبي على انه تاريخ وليس خارج التاريخ. انه ليس التجربة الوحيدة او المسار الحضاري الأوحد. هو إحدى مراحل تاريخ الوعي الإنساني الطويل ابتدأ من حضارة وادي الرافدين ومصر والصين وحضارات الشرق القديم وهكذا... إلى وقتنا الحاضر[٣٧].

ج.إرجاع الغرب إلى حدوده الطبيعية، وإنهاء الغزو الثقافي، وإيقاف هذا المد الذي لا حدود له(إعلام مصور ومرئي بكل تقنيته) والعودة بالفلسفة الأوروبية إلى بيئتها المحلية التي نشأت منها حتى تظهر خصوصيتها التي أمكن تعميقها من خلال الاستعمار والسيطرة وأجهزة الإعلام في لحظة ضعف الأنا وتقليده للأخر واقتصار تحرزه على الأرض دون الثقافة [٣٨].

د. القضاء على أسطورة الثقافة العالمية، واكتشاف خصوصيات الشعوب، وان لكل شعب نمطه الحضاري الخاص ووعيه المتميز بل وعلومه الطبيعية- وتقنيته الخاصة وفي النهاية ستختفي علاقة المركز (الحضارة الاوروبية المسيطرة) بالأطراف، الحضارات الأخرى تتعدد الحضارات المركزية، وتتباين المراكز، وتصبح الحضارات كلها على مستوى واحد فيقع التفاعل والتبادل الحضاري، دون ان تقض الحضارة الكبيرة على الحضارات الصغيرة [٣٩].

هـ. إتاحة الفرصة للإبداع الذاتي للشعوب غير الاوروبية وتحريرها من هذا الغطاء الذهني، وهذه البنية العقلية حتى تفكر هذه الشعوب بعقلياتها الخاصة وأطرافها المحلية، فتتعدد الأنماط وتتنوع النماذج فليس هناك نموذج واحد لكل الشعوب (لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا) (المائدة: ٤٨) ونتيجة لذلك تغدو العلاقات بين الحضارات علاقة تبادل وتعاون وليست ذات اتجاه واحد

(وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا) (الحجرات: ١٣).

و. القضاء على عقدة النقص لدى الشعوب غير الأوروبية وقيامها بإبداعها الخلاق بدلا من أن تكون مستهلكة للثقافة والعلم والفن. واعادة كتابة التاريخ بما يحقق اكبر قدر ممكن من المساواة في حق الشعوب بدلا من النهب الأوربي لثقافات العالم. وهذا يعني بداية فلسفة جديدة للتاريخ، تبدا من ريح الشرق، واكتشاف الدوائر الحضارية وقانون تطورها اشمل واعم من البيئة الأوربية، واعادة النظر في وضع الشعوب الشرقية كبدايات للتاريخ كما هو الحال عند هردر وكانت وهيكل[٤٠].

ز. ومن الملاحظ انه بدأ الاستشراق في عقد السبعينات يتحول من دراسة موضوع إلى موضوع دراسة، كما بدا بتحول داخل الغرب ذاته من الاستشراق إلى مراكز العلوم الإنسانية في أسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية[٤١]. اذ أنشأت مراكز للدراسات في عدد من العواصم الأوربية ومراكز البحوث في الولايات المتحدة الأمريكية وهكذا تحققت رغبة ذلك الطبيب الفرنسي موريس بريس الذي سجل في رحلته عبر الشرق الأدنى عام ١٩١٤م ما يلي:

كيف نستطيع ان نشكل لانفسنا نخبة فكرية نقدر على العمل معها وتتالف من شرقيين لن يكونوا قد اقتلعوا من جذورهم، شرقيين يستمرون في الارتقاء تبعا لمعاييرهم الخاصة وتظل تخترقهم تقاليد العائلة ويشكلون هكذا رباطا بيننا وبين جماهير السكان الأصليين؟ كيف سنخلق علاقات بهدف تمهيد الطريق لاتفاقيات ومعاهدات ستكون هي الشكل المرغوب فيه لمستقبلنا السياسي في الشرق ؟[٤٢].

وفي الختام فان علم الاستغراب سيؤدي إلى تكوين باحثين وطنين يدرسون حضارتهم من منظور وطني وحضارة الغير بمنهج اكثر حيادا وموضوعية وأنصافا مما فعل الغرب مع غيره وبالتالي تنشا العلوم الوطنية،

وتتكون الثقافة الوطنية، ويقوم التاريخ الوطني وينتهي الفصام في الثقافة والسياسة، بين العلم والوطن، وبين الباحث والمواطن[٤٣].

ومن هنا يرى أحد الباحثين المعاصرين ان علم الاستغراب هو التحليل الثقافة الوطنية ووصف تفاعل الجبهات الثلاثة فيها التراث القديم، التراث الغربي والواقع المباشر [٤٤]. وبداية جيل من المفكرين يأخذ على عاتقه مهمة استكمال التحرر الوطني بعد تمكن الجيل الحالي التحرر من الاستعمار(الاحتلال العسكري). واخيرا قد تشهد الإنسانية بفضل علم الاستغراب عصرا جديدا يختفي منه داء العنصرية الدفين الذي نشأ، أبان تكون الوعي الأوروبي. حتى اصبح جزءا من بنيته، وبالتالي تختفي عدوانية الشعوب على بعضها البعض بعد ان عانت الإنسانية من جراء حربين أوروبيتين وقد ورثت الصهيونية هذا الداء الدفين، وما زالت تمارس أساليب الاستعمار القديم والنازية الحديثة وما نلاحظه من جرائم ترتكبها الولايات المتحدة بحق الشعب الأفغاني الأعزل باسم العادلة والحرية المطلقة وجعلت العالم يسير من خلفها. بسبب نزعتها العنصرية الاستعلائية الموجهه ضد العرب بصورة خاصة والمسلمين عامة.

- الهوامش والاحالات :

(١) ادوارد سعيد: أستاذ كرسي الأدب الإنجليزي والأدب المقارن، وهو واحد من تسعة فقط يحملون لقب أستاذ في جامعة كولومبيا. وطبقا لاحد المصادر فقد الف سعيد ١٥كتابا وفي مقابلة مع روبرت ماركند (كريستيان ساينس مونيتر ٢٧ أيار ١٩٩٧) ذكر انه الف ١٨ كتابا. وقد بلغ عدد هذه الكتب ٢٠ كتابا عام ١٩٩٨. وبغض النظر عن عدد الكتب التي آلفها سعيد فانها تدرس في المعاهد والكليات في الجامعات الأمريكية والأوروبية. كما يذكر إقبال احمد في تقديمه كتاب (القلم والسيف) (١٩٩٤) لإدوارد سعيد ص٧. ومما يؤكد على تأثير سعيد الكبير الفهرس الذي وضعته جامعة كاليفورنيا (ارفاين) ويضم ٩٨٦ كتابا ومقالة عن كتاباته، وهو منشور على شبكة الإنترنت تحت عنوان

(مصادر نقدية مختارة عن ادوارد سعيد وكتاباته). فخري صالح (إدوارد سعيد وحكاية مقالة فاينر) البحرين الثقافية، العدد ٢٨ السنة الثامنة، ابريل ٢٠٠١, ص١٣٨ هـ١، ٢.

(٢) منيرة الفاضل: "ادوارد سعيد التمثيل الثقافي وسياسات الهوية" البحرين الثقافية (المرجع السابق) ص ٦٢. على سبيل المثال مؤلفه العالم، النص والناقد (١٩٨٣) يمثل اهتماما بالنقد الأدبي والنظرية الأدبية. اما كتابيه الاستشراق المعرفة، السلطة، الإنشاء (١٩٧٨) والثقافة والإمبريالية (١٩٩٣) فيمثلان النقد الثقافي المغاير وتبلور ما يسمى اليوم بالدراسات الما بعد كولونيالية، وكذلك حضيت فلسطين بقدر كبير من اهتمامه، مسالة فلسطين(١٩٧٩)، وبعد السماء الأخيرة (١٩٨٦)، لوم الضحايا (١٩٨٨) وسياسات التجريد ١٩٩٤.

(٣) فايز ترحيني(دكتور) "الاستشراق ادوارد سعيد" مجلة الفكر العربي، العدد ٣٢، السنة الخامسة، نيسان/ابريل- حزيران(يونيو) ١٩٨٣، ص١٥٣.

(٤) التفاصيل عن موقف الولايات المتحدة من الإسلام وكيفية التعامل من الأصولية الإسلامية، انظر: احمد إبراهيم خضر (دكتور)، الإسلام والكونجرس حقائق ووثائق... دار المعالم الثقافية، جدة،١٤١٤هـ \١٩٩٤م ؛ انظر كذلك قرار مجلس الأمن ١٣٧٣ (٢٠٠١) الذي اتخذه في جلسته ٤٣٨٥ المعقودة في ٢٨ أيلول \ سبتمبر ٢٠٠١ الذي فرضت من خلاله أمريكا وصايتها عن العالم وتبسط نفوذها عليه بحجة مكافحة الإرهاب بينما هي تقود الإرهاب المنظم إرهاب الدولة. وعن موقف الغرب من الإسلام، انظر على سبيل المثال انور الجندي : الإسلام في غزوة جديدة للفكر الإنساني، لجنة التعريف بالإسلام، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٤.

(٥) انظر ادوارد سعيد: الاستشراق، المعرفة، السلطة، الإنشاء، ترجمة كمال ابو ديب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ١٩٨١، ص٢١٦ فما بعدها؛ منيرة الفاضل: مرجع سابق، ص٦٣،محسن عبد الحميد(دكتور): قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر، (د.م) بغداد، ١٤٢٢هـ \ ٢٠٠١م ، ص ٦٧ فما بعدها. محمد فتح الله الزيادي: ظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، المنشاة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس،.١٩٩٢,ص ١٥٣

(٦) إدوارد سعيد: المرجع السابق، ص٢١٣ فما بعدها ؛ منيرة الفاضل: المرجع نفسه، ص٦٣؛ عبداللة إبراهيم :" التمثيل والسرد إدوارد سعيد وتوظيف المفهوم" البحرين الثقافية، ص١٠٥.

(٧) ادوارد سعيد: المرجع نفسه، ص ٤٦ فما بعدها.

(8) R Dum/ J.B."Flaubert Gustave" The New Encyclopaedia Britannica, 75th edition, Helen Hemingway Benton, London, 1973-1974,vol. 7, p.378-380.

(٩) فايز ترحيني: مرجع سابق، ص١٥٥.

(١٠)إفصاح الاستشراق" مجلة المستقبل العربي، العدد ٣٢، تشرين الأول (أكتوبر)، ١٩٨١، ص٤٧.

(١١) نفسه، ص ٤٦.

(١٢) التفاصيل: ينظر "خصائص النص الاستشراقي في وضعية النزاع، ملاحظات أولية حول سجال برنارد لويس وادوارد سعيد" ترجمة واعداد كامل يوسف حسين، مجلة الاستشراق، العدد ٢، دار الشؤون الثقافية، بغداد، شباط ١٩٨٧، ص١١٤ فما بعدها ؛ وعلى نفس النهج ينظر فخري صالح "ادوارد سعيد وحكاية مقالة فاينر" البحرين الثقافية، ص ١٢٥-١٢٩؛ كذلك، جستس رايد فاينر" بيتي العتيق الجميل واكاذيب اخرى اختلقها إدوارد سعيد، ترجمة فخري صالح، البحرين الثقافية، ص ١٣٠-١٣٩.

(١٣) ينظر الرد الانفعالي والعاطفي غير المتزن بقلم د.حازم مشتاق " الاستشراق المظلوم والمستشرقون المفترى عليهم" مجلة أفكار، العددان ١١٤/١١٥ ، كانون الثاني/ شباط، ١٩٩٤، وزارة الثقافة، المملكة الاردنية الهاشمية، عمان، ص ٤٤ فما بعدها.

(١٤)فاينر، جستس رايد، مرجع سابق، ص ١٣٩ هـ ٤.

(١٥)ينظر إدوارد سعيد: الاستشراق مرجع سابق، صور المثقف محاضرات ريث ١٩٩٣، ترجمة غسان غصن، مراجعة منى أنيس، دار النهار للنشر، بيروت ١٩٩٦، الثقافة والإمبريالية/ ط٢ ترجمة كمال ابو ديب، دار الاداب، بيروت ١٩٩٨.

(١٦) فاينر جستش: المرجع نفسه، ص ١٣١ .

(١٧) ص ٣٢٥، وقد فنهم د.خليل احمد خليل العبارة بشكل مغاير:"الاستشراق مشكلة معرفة ام مشكلة اعتراف بالاخر؟" الفكر العربي، العد ٣١، كانون الثاني (يناير)/ اذار (مارس) ١٩٨٣ ، السنة الخامسة، معهد الإنماء العربي، بيروت، ص ٥٠. بقوله" يختم ادوارد سعيد كتابه الاستشراق" ملاحظا ان الجواب على

الاستشراق ليس الاستغراب".

(١٨) حسن حنفي (دكتور): مقدمة في علم الاستغراب، الدار الفنية، القاهرة، ١٤١١/ ١٩٩١، ص ٣١-٣٢. والاستغراب هو علم الغرب والكلمة مأخوذة من كلمة غرب. تعني اصلا مغرب الشمس.

(١٩) محمد البهي(دكتور): الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٨٤/ ١٩٦٤؛ حسن حنفي: المرجع السابق، ص٣٨، إبراهيم عبد الكريم: الاستشراق وابحاث الصراع لدى إسرائيل، دار الجيل للنشر والدراسات والأبحاث الفلسطينية، عمان،١٩٩٢،ص ٥٩ فما بعدها؛ ادوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، مرجع سابق، احمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق،دار الفكر العربي، القاهرة،١٤١٨/١٩٩٨.

(٢٠)على سبيل المثال انظر حول مساهمة الفكر العربي في بناء الحضارة الأوروبية. يوجين أ. مايرز: الفكر العربي والعالم الغربي، ترجمة كاظم سعدالدين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، علي بن إبراهيم النملة: الاستشراق في الأدبيات العربية، مركز الملك فيصل للدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤١٤/١٩٩٣.

(٢١) حسن حنفي(دكتور): مرجع سابق، ص٤٠.

(٢٢) حسن حنفي(دكتور): المرجع نفسه، ص ٢٢؛ ادوارد سعيد: صور المثقف مرجع سابق، ص ٥٧ فما بعدها. من اجل تجاوز عقدة النقص فالكلمة العربية تلحق بكلمة غربية او تنقل الألفاظ الإفرنجية إلى الحروف العربية مثلا (راديو، تلفزيون، بايسكل، كافتيريا...الخ.

(٢٣) حسن حنفي: المرجع نفسه، ص ٢٣.

(٢٤)التفاصيل ينظر: انور الجندي: العالم الإسلامي والاستعمار السياسي والاجتماعي والثقافي، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٧٠؛ محمد عابد الجابري(دكتور): مسالة الهوية العروبة والإسلام... والغرب، ط٢، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة الثقافة القومية، (٢٧)، بيروت, ١٩٩٧.

(٢٥) عبد العظيم المطعني(دكتور): الاسلام في مواجهة الاستشراق العالمي،ط٢، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة،١٤١٣/١٩٩٢؛ ادوارد سعيد: الاستشراق،مرجع سابق، الثقافة والإمبريالية، مرجع سابق.

(٢٦)ابو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري ت ٢٥٦ هـ/٨٦٩م: صحيح البخاري ٣١٩٧؛ محمد بن عيسى الترمذي ت

٢٧٩هـ/٨٩٢م: سنن الترمذي ٧٩٩٠: وفي المصدر نفسه حديث (رقم ٢٦١٩) ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ليس منا من تشبه بغيرنا لا تتشبهوا باليهود ولا النصارى...).

(٢٧) احمد امين: ضحى الاسلام، ط١٠ ، دار الكتاب العربي، بيروت،(د.ت) ج٢؛ ظهر الاسلام، ط٣، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٦٢،ج٢؛ ادم متز: الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، ط٤، ترجمة محمد عبد الهادي ابو ريدة، مكتبة الخانجي ، القاهرة، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧/ ١٩٦٧) م ١-٢؛

W.Montgomery Watt, *Islamic Philosophy and Theology*, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1967.

The Influence of Islam on Medieval Europe, Edinburgh University Press, Edinburgh, 1972.

(٢٨) محمد البهي: الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار، مرجع سابق؛ انور عبد الملك(دكتور): الفكر العربي في معركة النهضة، ترجمة واعداد بدر الدين عرودكي، دار الآداب، بيروت، ١٩٧٤؛ حسن حنفي: مرجع سابق، ص٢٨؛ محمد اركون: الإسلام ، أوروبا، الغرب، ترجمة واسهام هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٥؛ محسن عبد الحميد(دكتور) : قضايا في الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص ٨٥ فما بعدها.

(٢٩) سعيد الاعظمي:"هذا هو الاستشراق فما هي عدتنا نحوه؟" نخبة من علماء المسلمين والإسلام والمستشرقين، عالم المعرفة، جدة، ١٤٠٥/١٩٨٥، ص ٤٥٧ فما بعدها؛ حسن حنفي: المرجع نفسه والصفحة؛ احمد سمايلوفتش: مرجع سابق، ص٣٦-٣٨.

(٣٠) مجموعة من الباحثين: الاستشراق، ترجمة واعداد هاشم صالح، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٤، ص١٨٥ فما بعدها؛ محمود ياسين عريبي(دكتور): الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي (نقد العقل التاريخي-١-)، الرباط، المملكة المغربية، ١٩٩١،ص ١٦١ فما بعدها.

(٣١) حسن حنفي: المرجع نفسه، ص ٢٩ ؛ احمد سمايلوفتش : المرجع نفسه، ص٣٥؛ هنا لابد من الاشارة إلى ان المحاولات الرائدة في علم الاستغراب التي قام بها رفاعة الطهطاوي: تلخيص الإبريز إلى تلخيص الابريز، بولاق، ١٢٦٥هـ؛محمد عبدة: الاسلام والنصرانية مع العلم والمدينة، دار المنار،

القاهرة،١٣٦٧ هـ؛الأمير شكيب ارسلان: لماذا تأخر المسلمون، دار الفكر للجميع، بيروت، ١٩٦٩؛عباس محمود العقاد: اثر العرب في الحضارة الاوروبية، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨؛مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر بيروت؛١٩٦٩؛عبد العظيم المطعني: الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي، دار الوفاء، المنصور، ١٤٠٧/١٩٨٧؛عبد الراضي محمد عبد المحسن: المعتقدات الدينية لدى الغرب، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ١٤٢١هـ/٢٠٠١م.

(٣٢) يقصد بالاستعراب العلم الذي يختص بدراسة حياة العرب وما يتعلق بهم من حضارة واداب ولغة وتاريخ وفلسفات واديان وله أصوله وفروعه ومدارسه وخصائص واصحابه واتباعه، ومنهجه وفلسفته وتاريخه وأهدافه؛ اما المستعرب فهو عالم ثقة في كل ما يتصل بالعرب وبلاد العرب او باللغة العربية والأدب العربي. انظر منير البعلبكي : المورد، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠، ص ٥٨.

(٣٣) هشام شرابي: المثقفون العرب والغرب، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٨؛ ص١٣١ فما بعدها؛ خليل احمد خليل(دكتور): مرجع سابق/ص٥٠-٥٢.

(٣٤) ادوارد سعيد : الاستشراق، مرجع سابق،ص٢١٣-٢١٧،ص٢٥٩ فما بعدها

حسن حنفي: المرجع نفسه،ص٣١. محمد عابد الجابري(دكتور)؛ مسألة الهوية والإسلام ،مرجع سابق، ص١٢٧ فما بعدها.

(٣٥) التفاصيل ينظر: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ومكتب التربية العربي لدول الخليج: مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، الرياض، ١٤٠٥ /١٩٨٥ مجلدين؛ أنور الجندي: سموم الاستشراق والمستشرقين، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٥/١٩٨٥؛ الفكر الإسلامي والثقافة العربية المعاصرة في مواجهة تحديات الاستشراق والتبشير والغزو الثقافي، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٨٨؛ عبد الرحمن حسن جنبكة الميداني: أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها(التبشير-الاستشراق-الاستعمار)، دار القلم، دمشق، ١٤٠٣هـ.

(٣٦) حسن حنفي: المرجع نفسه،ص٧٧٣-٧٧٥؛ احمد سمايلوفتش، ص٣٥-٣٦.

(٣٧) الدومييلي: العلم عند العرب واثره في تطور العلم العالمي، ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار والدكتور محمد يوسف موسى، مراجعة الدكتور حسين فوزي، دار القلم، القاهرة، ١٣٨١/١٩٦٢؛ عمر فروخ: تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت،١٩٨٣.

(٣٨) حسن حنفي: المرجع نفسه،ص٣٨؛ الجابري محمد عابد، المرجع السابق ص١٥٨-١٦٠.

(٣٩) ينظر هاتس، بيتر مارتين:فخ العولمة الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية ترجمة عدنان عباس علي مراجعة وتقديم ا.د. رمزي زكي، سلسلة عالم المعرفة (٢٣٨) المجلس الوطني للثقافة والفنون ةالاداب، الكويت، جمادى الآخرة ١٤١٩/أكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٨م؛ مركز دراسات الوحدة العربية ندوة: العرب والعولمة، ط٣، تحرير أسامة أمين المغربي، بيروت، نيسان/ابريل ٢٠٠٠.

(٤٠) حسن حنفي: المرجع نفسه، ص٥٢-٥٣.

(٤١) في مؤتمر الاستشراق التاسع والعشرون، باريس ١٩٧٣ حيث تقرر استبدال كلمة الاستشراق بالمؤتمر الدولي للعلوم والإنسانيات في أسيا وأفريقيا. ينظر ايضا احمد سمايلوفتش: فلسفة الاستشراق، مرجع سابق، ص ٨٦.

(٤٢) الجابري، محمد عابد: المرجع نفسه، ص ١٣٤؛ التفاصيل ينظر رسول محمد رسول، الغرب والإسلام استدراج التعالي الغربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٩،ص٣٩.

(٤٣) يعتقد البعض ان الرد على المستشرقين وتصحيح مواقفهم يتطلب من العلماء في الشرق ان يتخطوا مرحلة التصدي للكتابات الغربية بالنقد والتقويم، إلى الغوص في لب المشكلة وهي الدراسة الجادة والعميقة والتغلغل إلى أعماق التراث الشرقي وعرضه والتعريف به ومثل هذه الجهود يجب ان تلقى ما تستحقه من توجيه وتشجيع في المؤسسات والمعاهد العلمية، ومن الحكومات أيضا. لانها جهود تهدف ليس فقط إلى التعريف بالشرق على حقيقته، وانما سوف تحقق في آخر الامر توكيد الذات واثبات الكيان، والعودة بالاستشراق إلى سمو غاياته؛ شكري النجار (دكتور): "لم الاهتمام بالاستشراق" ، مجلة الفكر العربي، عدد ٣١، كانون الثاني/آذار/١٩٨٣ ص ٦٨-٦٩.

(٤٤) حسن حنفي: المرجع نفسه، ص٧٧٨/٥٦: عن المواقف المعادية والنظرة الاستعلائية للغرب. ينظر: فيليب حتي واخرون، الاسلام في نظر الغرب، نقله إلى العربية د.اسحاق موسى الحسيني، علق عليه الدكتور علي عبد الواحد وافي، دار بيروت، للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٣؛ روجيه جارودي: الاصوليات المعاصرة-اسبابها ومظاهرها،ترجمة د. خليل احمد خليل، دار الفين، باريس، ١٩٩٢؛رابح الصادق: "الاسلام في فرنسا، من الغياب إلى الظهور الهوياتي" المستقبل العربي العدد ٢٣٣ السنة،٧،١٩٩٨، ص٥٦؛

صامونيل هنتجتون: صدام الحضارات واعادة صنع النظام العالمي الجديد ترجمة طلعت الشايب مراجعة الدكتور صلاح قنصوة، دار سطور، القاهرة ١٩٩٨؛ رسول محمد رسول: الغرب والإسلام استدراج التعالي الغربي، مرجع سابق.